أحقية الإمام علي(ع) بالخلافة

<"xml encoding="UTF-8?>

إن الباحث المنصف – كائناً من كان – لابد أن ينتابه الذهول ، ويعتريه الاستغراب وهو يتفحص بإمعان وتَأَنٍّ ما حَفلَتْ به كتب السير ومصادر الأحاديث ، التي يُشَار إليها بالبَنَان ، وتُحَاط بهالات من التبجيل والتقديس ، من روايات ، وأحاديث ، وأحداث ، كيف أن أصابع التحريف والتشويه تركت فيها آثاراً لا تُخفى ، وشواهد لا تُوارَى ، أخذت من هذا الدين الحنيف مَأخَذاً كبيراً ، وفَتَحت لِذَوِي المَآرِب المُنحرفة باباً كبيراً .

بل ومن العجب العُجاب أن تجد في طَيَّات كل مبحث وكتاب – من تلك الكتب – جملة كبيرة من التناقضات الصريحة التي لا تخفى على القارئ البسيط – ناهيك عن الباحث المتخصص – تعلن بصراحة عن تَزْيِيف وتحريف تناول الكثير من أحاديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأقوال الصحابة الناصحين بِجُرْأةٍ كبيرة ، فأخذ يعمل فيها هدماً وتشويهاً .

ولعل حادثة الغدير – بما لها من قدسية عظيمة – كانت مرتعاً خصباً لِذَوي النفوس العقيمة خضعت لأكبر عملية تزوير قديماً وحديثا أرادت وبأي شكل كان أن تفرِّغ هذا الأمر السماوي من مصداقيته ومن محتواه الحقيقي ، وتحمله إما بين التكذيب الفاضح أو التأويل المُستَهْجَن .

فكانت تلك السنوات العُجَاف بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإلى يومنا هذا حَافِلَة بهذه التناقضات ، ومليئة بتلك المفارقات .

ولعل أم المصائب أن يأتي بعد أولئك القدماء جيل من الكُتَّاب المعاصرين يأخذ ما وجده – رغم تناقضاته ومخالفته للعقل والمنطق – ويرسله إرسال المُسَلَّمَات دون تَمَعُّنٍ وبحث .

وكأن هذا الأمر ما كان أمراً سماوياً أو حَتماً إلهياً ، بل حَالَهُم كحال من حكى الله تعالى عنهم في كتابه العزيز حيث قال : (قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) الزخرف : ٢٢ .

فالجناية الكبرى التي كانت تستهدف الإمام علي (عليه السلام) ما كانت وليدة اليوم ، ولا الأمس القريب ، بقدر ما كان لها من الامتداد العميق الضارب في جذور التأريخ ، والذي كان متزامناً مع انبثاق نور الرسالة السماوية .

حيث أنه قد توافقت ضمائر المفسدين – وإن اختلفت مُرتَكَزَاتِها – لِجَرِّ الديانة الإسلامية السمحاء إلى حيث ما

آلتْ إليه الأديان السماوية السابقة ، من انحراف خطير ، وتشويه رهيب .

لأن من السذاجة بمكان أن تُؤخذ كل جناية من هذه الجنايات على حِدَة ، وتُنَاقَشُ بِمَعزَلٍ عن غيرها ، وعن الصراع الدائم بين الخير والشر ، وبين النور والظلام ، وَمَنْ كان علي (عليه السلام) ؟!!

هل كان إلا كنفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، رُزِقَ عِلمُه وفهمُه ، وأخذ منه ما لَمْ يأخذه الآخرون ، بل كان (عليه السلام) امتداداً حقيقياً له (صلى الله عليه وآله) دون الآخرين .

وهل كانت كَفُّه (عليه السلام) إلا كَكَفِّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) في العدل سواء ؟

وهل كان (عليه السلام) إلا مع الحق والحق معه حيثما دار ؟

وهل كان (عليه السلام) لو وَلِيَ أمور المسلمين – كما أراد الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) – إلا حاملاً المسلمين على الحق ، وسالكاً بهم الطريق القويم وجادة الحق ؟

بلى كان يُعدُّ من السذاجة بمكان أن يُمَكَّنَ علياً (عليه السلام) من تَسَلُّم ذروة الخلافة ، وامتطاء ناصيتها ، لأن هذا لا يغير من الأمر شيئاً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

فيظهر الإمام علي (عليه السلام) لهم وكأنه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، يقيم دعائم التوحيد ، ويقف سَدّاً حائلاً أمام أحلامهم المنحرفة التي لا تنتهي عند حَدٍّ مُعيَّن ، ولا مَدىً معروف .

ولعل الاستقراء البسيط لمجريات بعض الأمور يوضح جانباً بَيِّناً من تلك المؤامرة الخطيرة ، التي وإن اخْتَلَفَتْ نوايا أصحابها إلاَّ أنها تلتقي عند هدف واحد ، وهو إفراغ الرسالة السماوية من محتواها الحقيقي ، ودفع المسلمين إلى هاوية التَرَدِّي والانحطاط .

وَيُحيِّرُنا من يرتضي للملوك والزعماء أن يعهدوا بالولاية والخلافة وهم أهل الدنيا ، ولا يرتضون ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ووليِّه (عليه السلام) وهم أهل والآخرة .

عدا أنهم نقلوا أن أبا بكر وعُمَر لم يموتا حتى أوصيا بذلك ، بل والأغرب من ذلك أن تَجِدَ تلك التأويلات الممجوجة للنصوص الواضحة ، وذلك الحمل الغريب للظواهر البَيِّنَة .

والجميع يدركون – بلا أدنى ريب – أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يتحدث بالأحاجي والألغاز ، ولا يقول بذلك منصف مدرك .

إذن فماذا يريد (صلى الله عليه وآله) بحديث الثقلين المشهور ؟

وما يريد بقوله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) : (أَمَا تَرضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى) ؟

وما يريد بقوله (صلى الله عليه وآله) أيضاً : (عَلِيٌّ وَليُّ كُلَّ مُؤمِنٍ بَعدِي) ؟

وإذا كان هناك من يَنفُرُ من كلمة الحق ، وتَعمَى عليه الحقائق ، فما بَالهُ بالشواهد وقد شهد حادثة الغدير عشرات الألوف من المسلمين ، كما تشهد بذلك الروايات الصحيحة في بطون الكتب .

بل وأخرى تَنقُلُ تَهْنِئَةَ الصحابةِ لِعَليٍّ (عليه السلام) بأسانيدٍ صِحَاح لا تُعارض .

وحقاً إن هذا الأمر لا يُخفى ، بالرغم من أنهم جهدوا في طمس تلك الحقائق الناصعة المشرقة .